اللغة العربية
و
الحضارة الإنسانية

دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث

د. وجيه حمد عبد الرحمٰن
أستاذ اللغة والأصوات المساعد
كلية التربية بالمدينة المنورة
جامعة الملك عبد العزيز.

التحدي العقيدي :

لعل من نافلة القول أن المسلمين قد لاقوا في القرون الأخيرة التي نشط فيها الاستعمار، وامتد على طول القارات المعروفة ألوانا من التحديات والغزوات، كان منها العسكري والفكري والديني. وكان منها اللغوي ــ بطبيعة الحال ــ نظرا للترابط الشديد بين العقيدة وأداتها أو وعائها. فاللغة وعاء لحفظ العقيدة وما ينبثق عنها من ثقافة وحضارة وهي وسيلة للتعبير عنها والعربة التي تنقلها عبر الأجيال في مختلف الأزمنة والأمكنة.

كما شهد تاريخنا سلسلة من الأحداث الكبار منذ كانت الحروب الصليبية، على أرض الإسلام، ثم ما تبعها على أرض الاسلام. ثم كانت خاتمة هذه الأحداث الحرب العالمية الأولى فالحرب العالمية الثانية بما تبعها من حركات التحرر الوطني، وبدايات اليقظة القومية وتقهقر الشعور الديني.

وتنبع هذه الأحداث من أصل واحد هو الأصل الديني – العسكري الذي كان يوجه الجماعات الغربية ويقود خطاها. ومن هنا كان هذا التنكر للحركة الحضارية الخصبة التي خلفها انتشار الاسلام ومحاولة اغتصابها وانتزاع القياد الحضاري من أيدي المسلمين ليكون في أيدي خصومهم.

ولجأ الغرب في بادىء الأمر إلى أبشع الوسائل لتشويه الاسلام وطمس حقائقه وتصويره للشعوب الأخرى بأقبح الصور، والنيل من رسالته ورسوله، ومن كتابه وأصحابه، ومن تعاليمه ورجاله حتى يقف ذلك حائلا دون انتشاره. وما رواية سلمان رشدي «الآيات الشيطانية» ــ التي تخص بالعبارات النابية والألفاظ القاذعة المجردة من الذوق السليم ومعايير الأدب الأخلاقية ــ ناهيك عن احترام الكتب السماوية ــ إلا حلقة في سلسلة تلك الشبهات والاتهامات التي تثار ضد عقيدة مليار من البشر

شيدت في إطارها حضارة سادت كوكبنا دون منازع لعدة قرون ونقلت الحضارة الغربية أساسياتها ومنهجها عنها. عقيدة تدعو إلى التوحيد الخالص وتزيل الفوارق بين البشر من لون ولغة وجنس ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات : 13). عقيدة تدعو إلى العمل وإلى العلم وإلى تعمير الكون واكتشاف أسراره والتدبر في ملكوت الله لتعميق الايمان به ولا أدل على تجرد بعض علماء الغرب من موضوعيتهم ومنهجهم العلمي ـــ الذي أدّى بالعديد من أقطابه لاعتناق الاسلام ـــ من استبدال كلمة الاسلام بتعبير يتنافى مع جوهر الاسلام السماوي وهو «المحمدية» Mohammadanism في محاولة لاضفاء الصبغة الوضعية عليه وتجريده من كونه رسالة سماوية خالدة هي خاتمة الرسالات السماوية للعالمين. وقد انبرى من بين المستشرقين الغربيين وولت تيلر Walt Taylor للردّ على هذا التشويه حيث رأى أن بالامكان إفراد بحث كامل لاستخدام كلمة محمد ﷺ Mohamet في الانجليزية. فقد نال هذا الاسم كثير من التحريف. فاستخدمت الانجليزية الوسطى Maumet بمعنى «دمية»، وهي في كتابات وليام شكسبير mamet وmakomet وMahound التي تعني «Idol» صنم. ويتساءل تيلر في معرض رده على من يعمدون إلى تحريف اسم الرسول ﷺ قائلا :

بما أن الحروب الصليبية قد انتهت، وبما أننا قد تعرفنا على حقيقة محمد ﷺ، أليس حريا بنا أن ننطق باسمه كما تنطقه العرب ؟ ثم أليس من باب التأدب أن نطلق على المسلمين الاسم الذي يرتضون فنناديهم بالمسلمين لا بالمحمديين ؟[1].

أما برنارد شو Bernard Shaw الكاتب والأديب والفيلسوف الايرلندي الساخر فقد قضى عامين في الهند ودرس خلالهما الاسلام. وقد أعجب بشخصية الرسول عليه السلام إعجابا فائقا. ومما يؤثر عنه أنه قال عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية :

أنّى لنا برجل كمحمد يأتي ليحل مشاكل العالم[2].

وقرأ برنارد شو لأحد رجال الدين في القرون الوسطى هجوما ضد النبي ﷺ ووصفه بأنه «راعي إبل» فعلق على ذلك شو قائلا :

إن أتباع هذا النبي قد تعلموا درسا في الأدب غير الذي تعملت أنت، فإنهم يسمون تلاميذ السيد المسيح «بالحواريين» وكان بوسعهم أن يصفوهم بأنهم جماعة من الصيادين.[3].

ويرى برنارد شو أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه بدلا من الاعتقاد بعداء محمد عليه السلام للمسيح عيسى فإنه يتعين وصفه بمنقذ البشرية.

تحدي أداة العقيدة :

كان ما تقدم ذكره تحد على الصعيد العقدي. وما كانت أداة العقيدة لتسلم من محاولات التشهير والنيل. وقد انصب الهجوم على عدة محاور أهمها الحرف العربي ـــ حيث اتهم بالقصور وطالب الكثيرون بتلتينه، بمعنى استخدام الخط اللاتيني بدلا منه، وقد حدث ذلك في تركيا التي كانت لغتها تكتب بالحرف العربي ـــ هذا بالرغم من أن نظام الكتابة العربي نظام صوتي، وأن هناك تناظراً بين عدد الحروف والأصوات في الكلمة. وهو بذلك يتماشى ونظام الكتابة الصوتية العالمي (International phonetic Alphabet) الذي توصل إليه علماء الغرب في عصرنا هذا للتغلب على المشاكل الناجمة عن انعدام الاتساق بين الحرف والصوت في معظم اللغات الأوروبية. فالحرف الأول في الأبجدية الانجليزية

يناظره أكثر من خمسة أصوات كما يوضح الشكل أدناه :

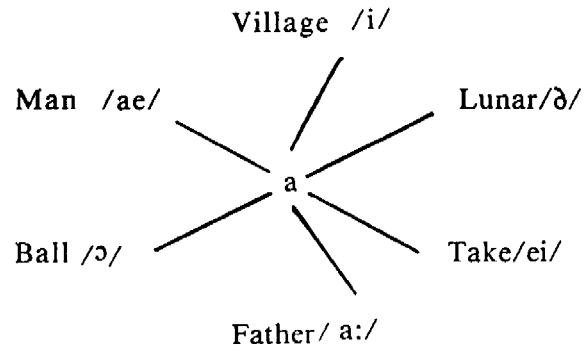

شكل (1) يبين أصوات الحرف a في الانجليزية

أما حرف (C) فيلفظ /S/ كما في Receive، و/K/ كما في Car، و/ʧ/ كما في Cello، كما أنه لا ينطق في Czar.

هذا عن العلاقة بين الحرف والصوت في الانجليزية، أما عن العلاقة بين الصوت والحرف فإننا نجد أن الصوت/ : i/ الذي يعادل الياء في كلمة «فيل» تقابله الحروف التالية الموضحة في الشكل رقم (2).

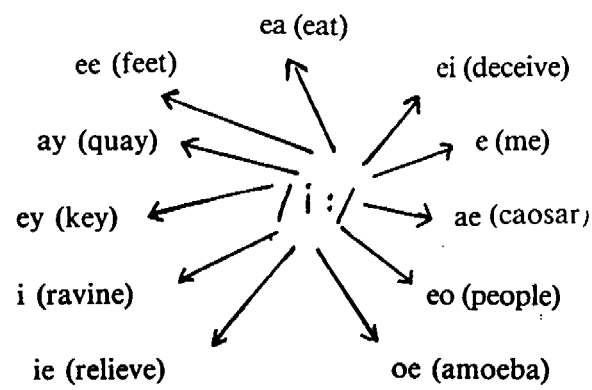

شكل (2) يمثل الحروف المناظرة للصوت /i:/

ولو اعتمد الأوروبيون الخط العربي ونظام الاملاء العربي لوفروا على أنفسهم الوقت والجهد إذ أنه يتميز بتطابق في عدد الأصوات والحروف والعكس. فعدد الحروف في كلمة كتب هو ستة. وهذا هو عدد الأصوات فيها. فالحركات في العربية هي أصوات صائتة (Vowel Sounds). ومن هنا استندنا في دعوتنا إلى تعريب الخط اللاتيني بدلا من تلتين الخط العربي. ومعروف أن معطيات علم الأصوات تشير بأن نظام الكتابة المثالي هو الذي يتحقق فيه تطابق وتناظر بين الصوت والحرف.

أما الاتهام الثاني فهو أن اللغة العربية لغة دينية وليست لغة علمية حضارية، بمعنى أنها غير قادرة على استيعاب الحضارة المعاصرة. وقد وجه هذا الاتهام من عالم لغة في جامعة رفيعة المستوى في أوروبا وكنت قد سمعتها من أحد أبناء العربية ممن يختص في تدريس الأدب الانجليزي ولا سيما مسرحيات وليام شكسبير. وهنا لا بد من تقرير بعض الحقائق للرد على هذه الاتهامات :

أولا : إن علم اللغة الحديث يعتبر كافة اللغات قادرة على مجاراة التقدم الحضاري، لا فرق في ذلك بين لغة وأخرى، إنما الفرق في وسيلة تحقيق ذلك. وبناء عليه فإنه لا يمكن تصنيف اللغات إلى علمية وأدبية ودينية الخ من التسميات التي تخرج عن نطاق علم اللغة ومعاييره. لكن بوسعنا القول بأن هناك شعوبا متحضرة وأخرى بدائية. وهذا ليس عيب في اللغة إنما العيب في الناطقين بها.

ثانيا : أما أن العربية لغة الدين وليست لغة الحياة، فذلك ـــ في المفهوم الاسلامي ـــ نوع من الفصل لم يكن لنا به عهد. فالدين في ضمير المسلم وفي النظرة الاسلامية نهج للحياة. ونوع من السلوك وصلة ما بين الدنيا والآخرة هي صلة العمل والجزاء، وصلة البداية والنهاية، وما كان في جزيئاته وكلياته إلا توجيها للحياة نحو المثل الأعلى، وارتفاعا بالواقع

إلى آفاق هذا المثل وأجوائها. لم يكن هناك هذه الازدواجية اللغوية أو الفكرية بين المسجد والسوق، وبين البيت والحياة، بين دور العبادة وبين مؤسسات المجتمع، ما تفكر فيه في المسجد يقودك إلى السوق أو الحقل، أو المصنع. وما تعمله هنا في هذه هو ترجمة عملية لما تفكر فيه هناك. ما عرفنا في تاريخنا الاسلامي هذه الثنائية المتقطعة، ولكننا عرفنا أن هاتين الوجهتين وجهان لحقيقة واحدة. وكانت اللغة ذاتها شاهدا حيا على ذلك. أنها كانت تنقلنا من خلال الآيات والأحاديث بين حياتين متصلتين، إحداهما الدنيا ونقيضتها هي كذلك حياة، حياة أخرى ــ كما يقول المرحوم الدكتور شكري فيصل في مناقشة لغوية جرت بيننا قبل انتقاله إلى رحمة الله ــ والحياة مزرعة الآخرة، وما تبذره هنا تجنيه هناك. وأنت هنا تصنع بأعمالك حياتك هناك (وهنا) و(هناك) ليس بالخطين المتقاطعين وإنما خط واحد متطابق، يرسم الطريق بين رحلة متصلة الأطراف.

إلا أن خصوم الاسلام أساءوا فهمه، أو هم فهموه متأثرين بما انتهى إليهم الأمر في حياتهم وفكرهم، وفي معاشهم وسياستهم من هذه الثنائية ما لله لله وما لقيصر لقيصر بين وحي السماء وسلوك الأرض، بين جواذب الواقع ودوافع المثل.

ثالثا : لقد درجت النظرة في الغرب على اعتبار كل من الدين والعلم عالمين منفصلين عن بعضهما البعض وذلك بسبب الفهم الضيق لكل من العلم والدين. وقد خنق هذا الفصام مفهوم العلم في القرن التاسع عشر ــ كما يعتقد البروفسور إبراهام ماسلو أستاذ علم النفس المشهور على مستوى القارة الأمريكية وخارجها وصاحب مدرسة خاصة به وصاحب نظرية «القوة الثالثة» في علم النفس التي كتبت عنها المجلات المتخصصة بأنها ستكون أكثر النظريات توجيها لسلوكنا وليست نظريات فرويد أو داروين أو سكينر ــ في دائرة ضيقة هبطت بالعلم وحصرته في ميدان الميكانيكا والفلسفة الوضعية وجردته من القيم الانسانية. ومن هنا ألصق العلم بنفسه الخطأ المشين الذي زعم أن ليس للعلم ما يقوله في قضايا النشأة الانسانية والمصير والتطلعات العليا والقيم الروحانية[4]. ومثله هذه المقولات التي زعمت أن هذه الموضوعات هي أمور خارجة عن ميدان المعرفة الانسانية وأنه لا يمكن التأكد منها أو إثباتها بطريقة تقنع العقل. لقد حكم هذا الاتجاه على العلم بالاخفاق وقصر مفهومه على التقنية وأبرزه مجردا من الأخلاق وقواعد الأدب الانساني.

ومثل هذا الفصام بين المعرفة والقيم أصاب بعض الأديان ــ غير الاسلام بطبيعة الحال ــ حيث انفصلت عن الحقائق وانعزلت عن العلوم والمعارف إلى درجة جعلت منها أعداء للمعرفة العلمية. وأن ليس لديها شيء تعلمه. ولعل ما حدث للعالم الفلكي والفيزيائي الايطالي جاليليو (1564 - 1642 م) الذي اضطهدته الكنيسة وأمرت بحبسه وحددت إقامته حتى مات بعد فقد بصره، خير شاهد على ذلك.

رابعا : لقد تحولت اللغة العربية ــ بفضل الاسلام وحثه على العلم وتشجيعه للعلماء واكتشاف أسرار الكون، وطلب العلم ولو في الصين ــ من لغة تعبر عن البيئة البدوية التي كانت سائدة قبل بزوغ فجر الاسلام إلى لغة شملت كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والادارية والاجتماعية، والعلمية كذلك. وقد ترجم علماء الاسلام إلى العربية نفائس الكتب الهندية واليونانية واللاتينية. كما برعوا في كافة فروع المعرفة، فألفوا بالعربية في الفلك والطب والكيمياء والرياضيات ــ بل إنهم أوجدوا فروعا جديدة مثل ما يعرف خطأ «باللوغاريتمات» وهي

مشتقة من اسم واضع ومؤسس قواعد هذا العلم وهو الخوارزمي.

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها المشهور «شمس العرب تسطع على الغرب».[5] إنه قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي كبير. وكان هذا الأثر العظيم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الاغريق حتى عام 925 قبل الميلاد. وظل المرجع الأساسي في أوروبا لمدة تزيد عن الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة، وهو العمل الجبار الذي خطته يد عربي قدير هو الرازي أو رازاسي Rhases كما سمته بلاد الغرب. وأما اسمه فهو أبو بكر محمد بن زكريا.

وقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالا فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في شارع سان جرمان.

خامسا : لعل هذه الحقائق التاريخية هي التي حدت بأحد مؤسسي علم اللغة الحديث وهو إدوارد سابير Edward Sapir ليكتب الآتي في وصف العربية (1921 : 194) :

إن اللغات الخمس الوحيدة التي كان لها دور رئيس في حمل الحضارة الانسانية هي : الصينية القديمة، والسنسكريتية والعربية واليونانية واللاتينية[6].

والملاحظ أن اللغة العربية، من بين هذه اللغات، هي الوحيدة التي ما زالت تؤدي دورها دون انقطاع، ذلك أن الصينية القديمة والسنسكريتية واليونانية القديمة واللاتينية قد انبثق عنها لغات حية لتقوم بذلك الدور الحضاري. وقد رفدت اللغات الأوروبية الحديثة بكم هائل من المصطلحات العلمية شائعة الاستعمال في يومنا هذا.

أما العالم اللغوي الآخر الذي يشهد للعربية، بدورها في النهضة العلمية وتأثرها في اللغات الأوروبية الحديثة ومنها الانجليزية فهو رونالد لانغيكر Ronald Langacker الذي يرى أن الكلمات المستعارة من لغة ما تعكس مدى تأثيرها الحضاري في اللغة المستمرة، وأن نسبة كبيرة من الكلمات العربية الدخيلة في الانجليزية هي كلمات علمية مثل Algebra, Alchemy, Cipher, Zero وغيرها كثير، وهي كلمات دخلت الانجليزية عن طريق الاسبانية[7]. وهذا ما يشهد لتأثير العربية في المجالات العلمية المختلفة.

سادسا : ما هي اللغة العلمية :

اللغة العلمية ـــ أو الأسلوب العلمي على وجه التحديد ـــ هو عبارة عن عدد من المفردات، مثله مثل الأسلوب الأدبي والأسلوب الديني الخ، اضفيت عليها معان خاصة تعارف عليها العلماء كل في مجال تخصصه. واللغة، كما هو معروف، تستخدم الوسائل المحدودة للتعبير عن الأغراض اللامتناهية. ينطبق هذا على النظام النحوي حيث عدد أنماط الجمل محدود (تستخدم الانجليزية مثلا تسعة أنماط أساسية) يولد بموجبها آلاف الجمل. كما ينطبق هذا على النظام الصرفي حيث أن عدد الجذور الأساسية في أي لغة محدود في حين أن عدد الكلمات المولدة بالعمليات الصرفية المختلفة من اشتقاق وتركيب ومشج (نحت) يصل المليون كما هو الحال في العربية والانجليزية.

وقد تم توليد ثلاثين ألف مصطلح جديد في لغة الطب (في معجم الطب الانجليزي) باستخدام مائة وخمسين جذرا إضافة لأسماء أعضاء الجسم.

ما مدى علمية العربية في القرن العشرين ؟

بإلقاء نظرة فاحصة على بعض المعاجم التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي يتبين أنه قد تم توليد آلاف المصطلحات في مختلف المجالات العلمية. وفيما يلي بيان باسم المعجم وعدد المصطلحات التي تم توليدها :

المعجم	عدد المصطلحات
النبات	4213
الكيمياء	2092
الجيولوجيا	7525
الدم	1433
الرياضيات	3590
النفظ	4802
الفيزياء	5126
الحيوان	4320

ولا غرو في ذلك فإن ما تمتلكه اللغة العربية من ثروة لفظية هائلة على مستوى الجذور يؤهلها أن تنهض دوما بدورها الحضاري. وتشير إحصائيات الحاسب الآلي إلى أن عدد جذور لسان العرب هو 9273 جذرا، هذا في مقابل (500) خمسمائة جذر تمتلكها مجموعة اللغات الهندية ــ الأوروبية، وفقا لما ذكره مولر Muller. ويمكن توضيح الكيفية التي يتم بموجبها توليد الألفاظ على النحو التالي كما يبين الشكل (3) أدناه.

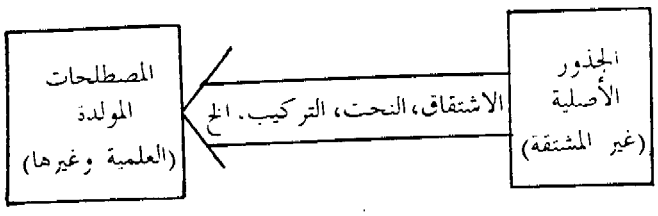

شكل (3) طريقة توليد الألفاظ الجديدة

نعم اللغة العربية لغة دينية :

وبعدما تقدم عن مدى علمية العربية ووفائها باحتياجات الحضارة الانسانية فإن لأهلها أن يعتزوا بأنها لغة كتاب سماوي جاء تبيانا لكل شيء وهدى، ولغة نبي عربي، وهذا تشريف لها. ولعل هذا ما جعل سيبويه يقول لأن أذمّ بالعربية أحب إليّ من أن أمدح بالفارسية، والأخيرة كانت لغته الأم. وإضافة إلى ما ذكرنا من تشريف للعربية بحملها رسالة السماء فإنها وسيلة تربط العبد بخالقه، إذ لا يكاد يخلو موقف من مواقف الحياة إلا ووردت فيه آية أو حديث يذكر فيه اسم الله سبحانه وتعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد : 28)

وهذه إحدى الخصائص التي تنفرد بها العربية عن غيرها من اللغات. ونذكر هنا ما ورد في بعض هذه المواقف على سبيل القصر لا الحصر :

1) في دخول المنزل : عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج. بسم الله ولجنا، بسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله» حديث حسن.

2) فيما ينعم به على الانسان : ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ (الكهف : 39).

3) فيما يصاب به المؤمن صغير وكبير : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. (البقرة : 156).

4) في الاستسقاء : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أتت النبي ﷺ بواك (وهي جمع باكية) فقال النبي ﷺ : «اللهم اسقنا غيثا، مريئا، مريعا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل» فأطبقت عليهم السماء. حديث حسن على شرط الشيخين.

5) في السفر : عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : «من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه».حديث حسن.

6) في ركوب البحر : يذكر عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا : ﴿بسم الله مجريها ومرساها، إن ربي لغفور رحيم﴾. (هود : 41). أخرجه ابن السني. وأبو يعلي الموصلي وسنده ضعيف جدا.

7) في النكاح : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : كان إذا رفأ النبي ﷺ الانسان وإذا تزوج قال : «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير». حديث حسن صحيح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قال : «لو أن أحدكم أتى أهله قال : بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا ــ فقضى بينها ولد، لم يضره شيطان أبدا». وقس على ذلك في باقي المواقف الحياتية.

ونسوق هنا هذا الحوار الظريف الذي دار بين عبد الله بن المبارك وامرأة عجوز لم تتكلم إلا بالقرآن الكريم لمدة أربعين سنة إذ يقول خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد، فتميزت ذاك، فإذا عجوز عليها درع من صوف وخمار :

فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالت : ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾[8].

فقلت لها : رحمك الله ! ما تصنعين في هذا المكان ؟

فقالت : ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾[9].

فقلت : إنها ضالة عن الطريق.

فقلت لها : أين تريدين ؟

قالت : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾[10].

فعلمت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس.

فقلت لها : أنت منذ كم في هذا الموضع ؟

قالت : ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾[11].

قلت : فبأي شيء تتوضئين ؟

قالت : ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا﴾[12].

فقلت لها : إن معي طعاما، فهل لك حاجة في الأكل ؟

فقالت : ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾.

فقلت : قد أبيح لنا الافطار في السفر.

فقالت : ﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[13].

فقلت : لم لا تكلميني مثل ما أكلمك ؟

فقالت : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[14].

فقلت : من أي الناس أنت ؟

فقالت : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن

السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[15].

فقلت : قد أخطأت فاجعليني في حل.

قالت : ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾[16] ؟

فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي، فتدركي القافلة ؟

فقالت : ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾[17].

قلت : فأناخت الناقة.

قالت : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾[18]. فغضضت بصري عنها، وقلت لها اركبي. فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها، فقالت : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾[19]. فقلت لها اركبي، فقالت : ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾[20].

فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصيح، فقالت : ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾[21]. فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر، فقالت : ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾[22]. فقلت لها : أوتيت خيرا كثيرا. فقالت : ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[23].

فلما مشيت بها قليلا قلت لها : ألك زوج ؟

قالت : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم﴾[24]

فسكت ولم أكلمها حتى أدركت القافلة، فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها ؟

فقالت : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[25].

فعلمت أن لها أولادا.

فقلت : وما شأنهم في الحج ؟

فقالت : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[26].

فعلمت أنهم أدلاء الركب. فقصدت القباب والعمارات.

فقلت : هذه القباب فمن لك فيها ؟

قالت : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾[27]. ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾[28]، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾[29].

فناديت : يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى، فإذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس.

قالت : ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه﴾[30].

فمضى أحدهم، فاشترى طعاما فقدموه بين يدي، فقالت : ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾[31].

فقلت : الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها.

فقالوا : هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمٰن.

فقلت : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[32].

نخلص من هذا إلى أن هناك تفاعلا بين الدين والعلم مما يعمل على إنشاء الحضارات الانسانية، إذ يمد الدين الأمة بأهداف عليا تجتمع عليها وتسخر العلم في سبيلها. ويتعمق هذا التفاعل ويقوى بمقدار توافق مقررات الدين وتطبيقات العلم. كما يستمر الاتجاه الايجابي للحضارة ما دام الدين يوجه الأهداف ويحفظ المجتمع من مضاعفات الترف والانغماس في ثمار الحضارة. أما حينما يتوقف التفاعل بين الدين والحضارة حين يظهر سوء فهم ديني عاجز عن حلول مشكلات الحضارة وتسير الحضارة دون إرشاد فإنها تؤول إلى السقوط.

إن اللغة ــ أي لغة ــ ليست سوى مرآة ووسيلة للتعبير عن الحضارة المنبثقة عن عقيدة الأمة. وقد أدت العربية دورها على خير وجه ــ قديما ــ حيث صانت الانجازات البشرية والتقنية ورفدتها (إذ لم تكن العربية مجرد ساعي بريد)، وحديثا حيث ولد خلال عشرين سنة في عصرنا الحاضر ما يربو على خمسة وثلاثين ألف مصطلح علمي نظرا لما بذلته وتبذله المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب الذي تشرف عليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وهي ــ أي العربية ــ لغة عقيدة شاملة لجوانب الحياة الدنيوية والأخروية. يقول برنارد لويس Bernard Lewwis إن للدين مفاهيم مختلفة في أذهان مختلف الناس. ففي الغرب يعني الدين بصورة رئيسية نظام إيمان وعبادة يتميز عن الولاء الوطني والسياسي ويعتبر في هذا العصر ثانويا بالنسبة للولائين السابقين. أما بالنسبة للمسلمين فالدين يعني أكثر من ذلك بكثير. فالاسلام يشمل في معناه ما تعنيه في الغرب كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحي مجتمعين. ولا شك أن هناك تقاليد وصفات محلية ووطنية وإقليمية عاشت وتعيش في المجتمعات الاسلامية، ولقد نالت أهمية كبيرة في العصر الحديث. غير أن جميع الشعوب التي قبلت بهذه التقاليد لها قاسم مشترك وواحد من الايمان والولاء للشريعة الاسلامية يطبعها بطابع هوية واحدة يبقى ويدوم.

والوحدة التي تجمع هذه الشعوب على قاسمها المشترك هي عقيدة «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وثانيا القرآن والسنة ــ والكلام لبرنارد لويس ــ وثالثا النظام الماهر المبني على «نظرية» الاسلام الدينية وعلى الفقه الذي استند إليها (وننوه بأن الاسلام وحي وليس نظرية).

فتعاليم الاسلام المنبعثة من منابعه الأصلية تضم بالاضافة إلى المعتقدات والعبادات تشريعا يمكن تسميته بلغة الغرب الحقوق المدنية والحقوق الجنائية وحتى الحقوق الدستورية. فكل مسلم مؤمن يعتقد أن هذه التشريعات الاسلامية جاءت من النبع نفسه ولها سلطة وقوة التشريعات الاعتقادية والعبادية نفسها.

ولقد وضع فقهاء المسلمين ــ كما يقول لويس ــ أسس التقاليد السياسية للمجتمعات الاسلامية، وبقيت هذه التقاليد سارية المفعول لقرون طويلة وكان لتاريخ المسلمين رصيد ضخم من القوة المعنوية في قلوب المسلمين، وكل لغات المسلمين كانت تكتب الأحرف العربية على الرغم من اختلاف أصولها، وكلها استعارت ما لا حدّ له من المفردات العربية خصوصا في حقلي الفقه والثقافة من جهة وحقل التشريع والحكم من جهة أخرى[33].

وفي ظل هذه المعطيات فإننا على يقين بأن اللغة العربية ستواصل تأدية دورها الحضاري بفضل العقيدة التي ترتبط بها ارتباطا وثيقا ــ عقيدة التوحيد التي تخرج البشر من عبادة البشر إلى عبادة الله ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (الصف : 8).

الهوامش

(1) إبراهيم المشوخي، آفات اللسان : مكتبة المنار ـــ الأردن الزرقاء 1985 م.
(2) «نخات من حياة برنارد شو» مجلة هنا لندن، تشرين الثاني 1982، العدد 409، ص .3.
(3) ابن تيمية، الكلم الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(4) إبراهام ماسلو «خطر الانشقاق بين الدين والعلم». ترجمة وتعليق الأستاذ ماجد الكيلاني. مجلة الأمة، ربيع الأول 1401 هـ، قطر، الدوحة، ص. 17 - 21.
(5) زيغرد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب «أثر الحضارة العربية في أوروبا» ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1963 م.
(6) - Sapir, E. «Language, an introduction to the study of speech», Harcourt, Brace & World, Inc.
(7) - Langacker, R.W. «Language and its structure», Harcourt, Brace Jovanovich, Inc.
(8) سورة ياسين، الآية 58
(9) سورة الرعد، الآية 32
(10) سورة الاسراء، الآية 1
(11) سورة الشعراء، الآية 79
(12) سورة النساء، الآية 43
(13) سورة البقرة، الآية 184
(14) سورة ق، الآية 18
(15) سورة الاسراء، الآية 36
(16) سورة يوسف، الآية 92
(17) سورة البقرة، الآية 197
(18) سورة النور، الآية 31
(19) سورة الشورى، الآية 30
(20) سورة الزخرف، الآية 13
(21) سورة لقمان، الآية 18
(22) سورة المزمل، الآية 20
(23) سورة البقرة، الآية 269
(24) سورة المائدة، الآية 101
(25) سورة الكهف، الآية 46
(26) سورة النحل، الآية 16
(27) سورة النساء، الآية 125
(28) سورة النساء، الآية 164
(29) سورة مريم، الآية 12
(30) سورة الكهف، الآية 19
(31) سورة الحاقة، الآية 24.
(32) سورة المائدة، الآية 54.
(33) برنارد لويس «الغرب والشرق الأوسط»، (تعريب د. نبيل صبحي)، كتاب المختار ـــ القاهرة، 1965 م، ص 32 - 33.

المراجع العربية

(1) إبراهام ماسلو «**خطر الانشقاق بين الدين والعلم**» ترجمة وتعليق الأستاذ ماجد الكيلاني، مجلة الأمة ــ ربيع الأول 1401 هـ. قطر، الدوحة، ص 17 - 21.

(2) إبراهيم المشوخي، **آفات اللسان** : مكتبة المنار ــ الأردن، الزرقاء 1985 م.

(3) ابن تيمية، **الكلم الطيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(4) برنارد لويس «**الغرب والشرق الأوسط**»، (تعريب د. نبيل صبحي). كتاب المختار ــ القاهرة، 1965 م، ص. 32 - 33.

(5) «**لمحات من حياة برنارد شو**» مجلة هنا لندن، تشرين الثاني، نوفمبر 1982 م، العدد 409، ص. 3.

(6) زيغرد هونكه : **شمس العرب تسطع على الغرب**، «أثر الحضارة العربية في أوروبا»، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1963 م.

المراجع الأجنبية

— Abderrahman. W. H. (1981). **The Role of Derivation in the Processus of Neologisation in Arabic,** Ph. D. Dissertation SOAS, London University.

— Langacker R. W. (1973). **Language and its Structure,** Harcourt Brace Jovanovich, Inc.

- Sapir,E (1921). **Language, An Introduction to the Study of Speech,** Harcourt, Brace & World,Inc

— Taylor, W. (1933), «Arabic Words in English»

Tracts No. XXXVIII in Society of Pure English, Tracts XXXI - XL. London : Clarendon PP. 99 - 567